

التعريف والنقد

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف الشريف الرضي

تحقيق محمد عبد الفتي حسن

هذه هي المرة الأولى التي طبع فيها كتاب : تلخيص البيان في مجازات القرآن لصاحبه الشريف الرضي ، وقد جاء الأستاذ محمد عبد الفتي حسن في مقدمة الكتاب بالأدلة القاطعة على صحة نسبه الى الشريف الرضي وكان تحقيقه قائماً على جهد ظاهر فهو لم يجازف به مجازفة .

إلا أن المقدمة لم تشمل على هذا الأمر وحده وإنما اشتملت على أمور ثانية بارعة مثل الإشارة الى قيمة الكتاب العلمية والأدبية والى القراءات فيه والى منزلته بين كتب التفسير والى عصر الشريف والحياة الأدبية فيه والى أشياء ثانية تتصل بالشريف الرضي .

ولكنني أحب أن أنتخب من هذه الأمور كلها أمراً واحداً وأعني به إشارة الأستاذ محمد عبد الفتي حسن الدقيقة الى إعجاز القرآني في ألفاظه وأصاليه ومعانيه والى مسالكه اللطيفة وغرائبه العجيبة في التعبير ونكته البلاغية الخفية والظاهرة وأسرارها واستعمالاته ومجازاته واستعاراته ومقاصده وغير ذلك مما يكشف لنا عن مقدار تقدير الأستاذ الموماً اليه لروح القرآن .

أما الكتاب نفسه : تلخيص البيان في مجازات القرآن فلم يؤلف مثله في هذا الفرض على نحو ما ذكر ذلك الأستاذ المحقق ، فالشريف الرضي خطأ أوّل

خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفاً مستقلاً بذاته ولم يأت تأليفه عمداً في خلال كتاب أو في خلال باب من أبواب مصنف من المصنفات ، وإنما بدأ بتأويل مجازات القرآن وتوضيح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه وتحليل استعاراته متوالياً في هذا كله سورة سورة من القرآن بحسب الترتيب .

هذا كله فصله لنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن تفصيلاً دلنا على عنايته بأسرار القرآن وعلى حسن ذوقه لبلاغته ولا شك في أن في انصرافه الى تحقيق كتاب الشريف الرضي ووضع مقدمته وترتيب فهارسه فائدة جلية فالقرآن يقرأ المسلمون كل يوم آيات كثيرة منه ويسمعون هذه الآيات من دور الإذاعات ويشهدون تدريسه في المدارس والجامعات وعلى الرغم من هذا كله لم نصل بعد الى إدراك أسرارها على الوجه الأكمل فلم نذق بلاغته اللذوق كله ولم نخط بعقربته الإحاطة كلها فكثيراً ما نمرُّ بآية من آياته الكريمة فلا نشعر بحاسنها إلا من ناحية أو من ناحيتين فاذا خلصنا الى إدراك معناها جملةً فلا نخلص الى إدراك أسرار بلاغتها واذا خلصنا الى إدراك هذه الأسرار فلا نكاد نخلص الى الصلات بين ألفاظها وأظن أن ضرب مثل من الأمثال يوضح هذا الكلام .

قال الشريف الرضي :

وقوله سبحانه : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وهذه استمارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يرحم بها كالحجارة وغيرها فجعل سبحانه ، إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكه ويدفع ماسه ، ولما بدأ تمالي بذكر قذف الحق على الباطل وفسى الاستمارة حقها وأعطائها واجبها فقال سبحانه : فيدمغه ، ولم يقل فيذبه ويطله لأن الدمع إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقيل وعلى طريق

الغلبة والامتلاء فكان الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد : فاذا هو زاهق والزاهق : الهالك .

هذا مثل من أمثال الكلام على الاستعارة في كتاب الشريف الرضي انتخبته عرضاً فقد نستطيع أن نحيط بظاهر معنى الآية وأن ندركه لأول وهلة ولكننا لا نستطيع الوصول إلى باطن المعنى إلا بعد إعمال الفكر أي لا نستطيع أن نصل إلى الصلة بين القذف بالحجارة والقذف بالحق إلا بعد أن نفهم الصلة المنصوية بين هاتين الصورتين فاذا فهمنا هذه الصلة تجلت لنا القدرة في صب اللفظ في موضعه وفي التنسيق بينه وبين أخيه وفي النسبة بين صورة الحقيقة وصورة المجاز واذا تجلت لنا هذه القدرة نعمنا حينئذٍ بتذوق البلاغة والوقوف على أمرائها وعلى غير هذا الشكل لا يمكن أن نفهم القرآن ولا أن نتمتع من إعجازه .

فاذا شكرنا للأستاذ محمد عبد الفني حسن جهده في تحقيق كتاب الشريف الرضي وفي وضع مقدمة له وفي إفاضته في الذي أفاض فيه في هذه المقدمة مما يطول بسطه في هذا المقام فنحن نشكر له هذا الشكر لأنه مهّد لنا سبيلاً إلى الاطلاع على كتاب تقوّم به أذواقنا في البلاغة ونفقّه به مداركنا في معرفة الألفاظ وأمرائها ونقوّي به فهمنا لا كبر مصدر من مصادر البلاغة في لغة العرب .

—————